التحايا

تفريغ

الكلمة الصوتية

بعنوان: شرح حديث

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

للشيخ عطية الله الليبي

التحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ

١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

شرح حديث (المؤمن القوي خيرٌ وأَحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف)

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:-

فموضوعنا اليوم كلمة بسيطة هي تذكرة اخترتُ لها حديثًا من أحاديث النبي وهو الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله : (المؤمن القوي خيرٌ وأَحبُّ إلى الله

من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان)[1] انتهى الحديث

هذا الحديث النبوي الكريم يُعتبر في الحقيقة قاعدة من القواعد وفيه جملة من الأحكام وجملة من الآداب العظيمة، يبدؤه النبي ﷺ بقوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وفي هذه الجملة من المعاني:-

- أن المؤمن يمكن أن يكون قويًا ويمكن أن يكون ضعيفًا.
- وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- وأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ولكن في كلٍ خير.

قال: (وفي كلٍ خير) في كلٍ خير هذا احتراز من توهُّم، هو لدفع توهم أن الضعيف مذموم مثلًا يعني أو أنه لا خير فيه؛ لأن أحيانًا أنت إذا مدحتَ شيئًا قد يُتوهَّم أنك تذم ضده، هذا كقول الله -سبحانه وتعالى-: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ}[2].

أو كقوله -تعالى-: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[3].

فالنبي ﷺ هنا يقول: (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ثم قال: (وفي كل خير) المؤمن كله خير قد جاء هذا مصرحًا به طبعًا في أحاديث كثيرة وهذا متقرر معروف، يعني المؤمن كله خير، المؤمن خيره كثير ولهذا شبَّهَه النبي ﷺ بالنخلة كما قال في الحديث رواه

[1] **صحيح مسلم: (2664).**
[2] **سورة الحديد: (10).**
[3] **سورة النساء: (95).**

البخاري في صحيحه: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: (هي النخلة)[4].

وشبهها بالنخلة لإفادة وجه الشبه يعني أنها نافعة، كثرة النفع، وعموم النفع وأنها يُنتفع بها على كل وجه وينتفع بكل شيء منها كذلك المؤمن، المؤمن حيث ما كان نَفَع، المؤمن فيه خير كثير، نعم، حتى وإن كان فيه بعض الشوك وبعض الشر أحيانًا لكن باعتبار الغالب فهو خير وهو نفع وهو صلاح، المؤمن خير وخيره كثير وغالب ونفعه غالب "وفي كلٍ الخير"، لكن المؤمن القوي فيه من الخير أكثر مما في المؤمن الضعيف.

ما معنى القوة في قوله: (المؤمن القوي) قال العلماء: معنى القوة هنا قوة العزيمة في تحصيل المنافع. ولهذا قال بعدها: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) فنهى عن العجز، فالقوة هنا ليست قوة الإيمان، بعض الناس توهم أن المقصود بالحديث قوة الإيمان، المؤمن القوي بإيمانه يعني خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف إيمانًا! لا، ليس كذلك.

الحديث الجُمل التي بعد هذه الجملة توضِّحه وتشرحه ليس هذا المراد والله أعلم إلا أن يُقال أنه داخل في عموم لفظ القوي ممكن، لكن المراد بالقصد الأول وأصالةً هو المؤمن القوي، القوة في تحصيل منافع وخيرات الدنيا والآخرة هذه القوة، قال العلماء: "هي قوة العزيمة في التدبير وفي تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية" يعني هناك من المؤمنين مثلًا من هو مؤمن ضعيف مسيكين ما يحسن التدبير ما يحسن يتصرف لا يحسن يجاهد ولا يحسن يأمر بمعروف ولا يحسن يصدع بالحق ولا يحسن يقود الثورات، ولا يحسن يعني أن يعمل الأعمال العظيمة، وهناك مؤمن قوي يصلح لهذا ويجاهد ويأمر ويصدع ويفعل ويفعل ويقوم بالمهمات وبعظائم الأمور، ويرتكب المشاق، هذا المؤمن القوي.

المؤمن القوي هذا يحتاج إلى -قوي هو كيف كان قويًا؟ القوة هذه ملكات- يحتاج استعداد، يحتاج إلى استكمال أدوات القوة، القوة البدنية

---

[4] **صحيح مسلم: (2811)، صحيح البخاري: (131).**

القوة العقلية والفكرية لكن أهمها قوة الإرادة وقوة العزيمة؛ ولهذا غالبًا العلماء يقولون في شرحه: "قوة العزيمة في تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية".

(المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وفي هذا حثٌ على القوة في تدبير شؤون الدنيا والآخرة، تحصيل منافعك الدنيوية والأخروية فلتكن فيها أيها المؤمن قويًا.

يوضحه ما بعده قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) هذه الثلاث جمل "احرص على ما ينفعك" أيها العبد المؤمن، "احرص على ما ينفعك" يعني ليكن منك حرص دائم على ما ينفعك من خيري الدنيا والآخرة.

(احرص على ما ينفعك) المؤمن القوي يحرص على ما ينفعه، الحرص، وقوة الحرص على النفع هذه أسباب النجاح والفلاح، حتى في مشروع دنيوي بسيط لـمَّا تكون حريص، كثير من الناس عندهم أماني، عندهم حتى أفكار أحيانًا ومشاريع معينة، وممكن هو عنده تخيُّل جيد وفكرة جيدة لكن ما ينجح المشروع بمجرد أنه فكرة! لا بد أن تتحول الفكرة إلى إيمان، إلى اعتقاد بأن هذا نافع وهذا مفيد وأن هذا لا بد أن نفعله، فيكون فيه نوع من الحرقة ونوع من التصور الحامل للإنسان على العمل وهو إيمان بهذه الفكرة، وقناعة معينة، بمعادلة معينة يعني قضية معينة قضية تؤمن بها فتحولها إلى عمل، هذا الإيمان وهذا التحول إلى عمل هو أن تحرص على ما ينفعك.

قوة الحرص أنه يتضمن قوة العزيمة في فعلك لِـما اقتنعتَ به هذا سبب عظيم من أسباب النجاح في أمور الدنيا والآخرة، الحريص على الجنة والدرجات العلا يحرص على فعل الطاعات والخيرات ويُسابق إليها، ويحرص على الشهادة مثلًا باب مفتوح سهل ميسر من أبواب الجنة، باب يرفعك إلى منزلة النبيين والصديقين خلاص ما في بعدهم إلا الشهداء!

أقرب الطرق إلى الدرجات العلا، هو اقتَنَع بهذه الفكرة والباب مفتوح والسوق ما زال ما تسكر، اقتَنَع قناعة تحولت إلى كأنها رأي عين فيندفع

إلى الجهاد وإلى ساحات الاستشهاد فيستشهد في سبيل الله هذا حريص، هذا حرص على أمر أخروي.

الحــرص على أمر دنيــوي كثــير، كثــيرة أمثلته في تــدبير أمــور دنيوية في تحصــيل معاشــنا في أمورنا الاجتماعية في أمورنا الاقتصــادية، كمشــروع اقتصادي بسيط، في أمور الحرب منازلة الأعداء، في سياســات الأمم في كل شيء (احــرص على ما ينفعك)، في هــذه الجملة للتنبيه بل أمر بالأخذ بالأسباب، هذا ما يسميه العلماء الأخذ بالأسباب.

والمقصود بالأسباب: جمع سبب، وهو الأمر المُفضي إلى أمر آخــر، ســبب مفضي إلى نتيجة معينة إلى هدف إلى مقصود هذا هو السبب.

وعنــدما نقــول نأخذ بالأســباب أي: نعمل بهــذه الأســباب هــذه الوســائل الموصلة إلى مقاصدنا المقاصد المشروعة التي نريــدها الــتي تنــدرج فيما شرع الله -سبحانه وتعالى- وأباح وأحل أو أمر.

فالأخذ بالأسباب الموصلة إلى المقاصد مأمور به والحقيقة أن فيه تفصيل طبعًا، الأخذ بالسبب متى يكــون واجبًا ومــتى يكــون مســتحبًا أو مباحًا فهو فيه تفصيل بحسب الهــدف، بحسب المقصــود، فــإن كــان المقصــود واجبًا يعني تحصيله وتحقيقه واجبًا كان السبب المفضي إليه واجبًا؛ عرفتم هذه؟ لأن ما لا يتم المأمور به فهو مأمور به.

الشريعة تأمر بكل شــيء توقَّف تحصــيل المــأمور به عليــه، يعــني لو نحن أمرَنا الله -ســبحانه وتعــالى- مثلًا بالجهــاد، نحن في بــاب الجهــاد هنا وفي الجهاد، الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالجهاد بجهاد أعداء الله وقتــال أعــداء الله -سبحانه وتعالى- دفعًا وطلبًا فلا بد من إعداد العدة لهذا الجهاد، وهــذا القتال فيه إعداد العدة وحسن التدبير والتنسيق وترتيب أمورنا وغيرها.

كل ما يتوقف عليه تحصــيل هــذا الســبب اللي هو انتصــارنا على الأعــداء ودحر الأعداء وهزيمة الأعداء وأن نغلب عليهم وأن ندفع شرهم وأن نحرر أرضنا منهم ونحــرر مقدســاتنا وهكــذا كل ما يتوقف عليه ذلك فهو واجب، تبقى تفاصيل بعد ذلك يعني بحسب ما يتوقف عليه بوضوح يعني وبحسب قرب ذلك وبعده من معنى توقف عليه، صحيح؟

أما إن كان المقصود مستحبًا فالسبب الموصل إليه مستحب، وإن كان مباحًا فالسبب الموصل إليه مباح وهكذا يعني.

فالمقصود (احرص على ما ينفعك) فيها الأمر بالأخذ بالأسباب والحرص على منافع الدنيا الآخرة، والحرص هذا قلنا هو الذي يتحقق به النجاح والفلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، أما الإنسان الذي ليس بحريص، عاجز، فهذا الذي قال فيه النبي : (ولا تعجز)

(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله) نبَّه على الاستعانة بالله؛ ليجمع لك أيها العبد المؤمن بين أمرين لا بد أن تفقههما أيها المؤمن وهما: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

الشريعة والتوحيد، الشريعة: هي الأحكام والأوامر والنواهي وما في معناها، طلب الفعل وطلب الترك وما قارب ذلك من الأحكام وأنتم تعرفون الاحكام الشرعية -قوانين الشريعة- أباح الله كذا، أمر الله بكذا، نهانا الله عن كذا، وضع الله الشيء الفلاني له علاقة بشيء آخر، هذه هي الأحكام صحيح ولا لا؟ هذه هي الأحكام، هذه الشريعة.

ومنها الأسباب: أي شيء دلت دلائل الشريعة على أنه سبب موصل إلى شيء آخر مقصود شرعًا مأمور به أمر إيجاب أو استحباب أو على الأقل مباح فهذا السبب مشروع، أو دلت دلائل الحس والتجربة والعقل على أن هذا الشيء مفضي إلى ذاك الشيء مؤدي إليه، فإن كان ذلك المقصود مباحًا أو مشروعًا يعني فهذا السبب مشروع، هذه الأسباب صحيح ولا لا؟

نحن عرفنا بدليل التجربة أن مثلًا الطريقة الفلانية هي التي تمنع الشيء -الضرر الفلاني- فنفعل هذه الطريقة الفلانية، علمنا بطريقة تجارب الأمم والشعوب وكذا أن هزيمة هذا العدو ما تكون إلا بهذه الطريقة -حرب العصابات- وبسبب التكتيك الفلاني نستعمل هذا سبب مفضي إلى ذلك الهدف والمقصود.

السبب إما أن يكون مدلولًا عليه بدليل الشرع وإما أن يكون مدلولًا عليه بدليل التجربة والعقل والحس، جيد؟ ولهذا الآيات تدل والشرع يعتبر ذلك.

فنبدأ هنا بالاستعانة بالله بعد الأخذ الأسباب، تأخذ بالأسباب وتحــرص على ما ينفعك وهـذا لا يكفيـك، بل لا بد من الاسـتعانة بالله -سـبحانه وتعـالى- (واسـتعن بالله) يعـني توكل عليـه، (اسـتعن) بمعـنى واطلب العـون منـه، دلالة الألف والسين والتاء هذه دلالة الطلب، يعني اطلب العون منـه، الْجأ إليه واطلب العـون منه فإنه هو الـذي يعينك فقط وإن لم يُعِنك ولم يـأذن بتصريف أمرك وبإنجاحك وإفلاحك فلا تنجح صـحيح ولا لا؟ "اسـتعن بالله {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّه}[5] {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ}[6].

(واسـتعن بالله) فنبَّه إذن -بعد الأمر بالأخذ بالأسـباب- بالاسـتعانة بالله -سبحانه وتعـالى-، وجـوب الاسـتعانة بالله -سـبحانه وتعـالى- والتوكل على الله، تستعن بالله وتتوكل عليه.

والتوكل على الله -سبحانه وتعـالى- معناها أن توكِله في أمـرك، أن تُوكِل أمرك إليه، وهـذا التوكل يقتضي أنك أنت تثق فيـه، يعـني أنت كيف توكل أمورك لأحد لا تثق فيه! يمكن هذا يا أبا البراء؟ يمكن أنك أنت توكل أحـدًا وأنت لا تثق فيه توكل إليه أمـــورك؟ لا بد من الثقة وحسن الظن، هـــذه الثقة وحسن الظن بالله -عز وجل- هنا في هــذا المقــام تحصل من أين؟ تحصل من معرفتنا بالله -ســـبحانه وتعـــالى- المعرفة بالله -عز وجل- بأســمائه وصــفاته، المعرفة بجماله وكماله وجلاله -ســبحانه وتعــالى- وعظمته.

توحيـدنا لله -سـبحانه وتعـالى- ومعرفتنا بالله -عز وجل- هي الـتي تجعلنا نثق بالله، نعرف رحمته وأنه أرحم بنا من أنفسنا وأنه أرحم بنا من أمهاتنا اللائي ولــدننا صح ولا لا؟ لـــمَّا نعـــرف أن الله بنا رحيم، وأنه بنا لطيف يلطف بنـا، وأنه ودود كـريم وهـاب وأنه رزاق وأنه أيضًـا القـادر على كل شـيء وهو الغـالب على أمـره وهو العزيز الـذي لا يمتنع منه شـيء، وهو القاهر فوق عباده وهو الـذي لا يعـزب عنه مثقـال ذرة في السـماوات ولا في الأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصــــدور، يعلم السر وأخفى، وهكذا نعرف صفات الله -سبحانه وتعالى-، وأنه الحي القيوم القــائم على

[5] **سورة آل عمران: (126).**
[6] **سورة هود: (88).**

كل نفس بما كسبت والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل ولا ينسى والذي لا يعجزه شيء.

يعني صفات الله -سبحانه وتعالى- وأسماءه الحسنى عندما نعرفها ونحصيها ونعرف معانيها ونقف عندها ونتدبرها تحصل عندنا الثقة بالله -سبحانه وتعالى- الثقة بقدرته وقوته وبرحمته ولطفه وإحسانه، والثقة بأنه لا يعجزه شيء وأنه أرحم بنا من أنفسنا -كما ذكرنا هذه الأشياء- فتوكله في أمورك تتوكل عليه، {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}[7] اتخذه وكيلًا لك، وكِّل إليه أمرك وشأنك وفوِّض إليه أمورك وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، نِعْمَ الله وكيلًا لنا، فهذا نبَّه على أيش؟ نبَّه على الاستعانة والتوكل الذي هو التوحيد بعد الأمر بالأخذ بالأسباب؛ ولهذا توصف شريعتنا وديننا بأنها ماذا؟ الحنيفية السمحة أو السمحاء.

الحنيفية، قال العلماء: "حنيفية في التوحيد" يعني كاملة في التوحيد هي أكمل الأديان في التوحيد، صحيح أن الانبياء كلهم جاؤوا بالتوحيد بدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ولكن ديننا حتى في التوحيد هو أكمل من الأديان السابقة، هناك أشياء كانت في الأديان السابقة مباحة حُرمت في ديننا زيادة في تحقيق التوحيد، كقول مثلًا: ما شاء الله وشئت، وأشياء من هذا القبيل كالسجود لغير الله -سبحانه وتعالى- وغيره؛ حماية لجناب التوحيد -كما قال العلماء- وسد منافذ الشرك وذرائع الشرك وغيرها؛ لأن هذا الدين إذن وهذه الشريعة هي أكمل حتى في التوحيد في تحقيق التوحيد، وفي الشريعة شريعة سمحة أو سمحاء بمعنى فيها اليسر، البعد عن التكلف، والبعد عن الصعوبة والتعسير، فيها اليسر، فيها الواقعية، فيها البعد عن التكلف الذي هو السماحة.

السماحة ضد التكلف في الأصل يعني ما فيها تكلف {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}[8] "نُهينا عن التكلف" قال سيدنا عمر -رضي الله عنه-.

فإذن نبَّه على الأمرين الشريعة والتوحيد، الشريعة الأخذ بالأسباب والعمل بالقوانين هذا الشيء مفضي إلى هذا الشيء، لكي تنجح في الشيء الفلاني لازم تعمل كذا وكذا، هذه الطريقة هذه ميكانيكة لا بد أن

---

[7] **سورة الزمل: (9).**
[8] **سورة ص: (86).**

تفعلها، يستوي في هـذا المـؤمن والكـافر، حـتى الكـافر يعـرف أيش؟ أن كثير من هذه الأسباب مفضية إلى هذه المقاصد، نحن المؤمن يزيد عليهم بما علمه الله -سبحانه وتعالى- من هذه الشريعة العظيمة ومما نبهه عليه من بلاء في الأسباب والمسببات.

فهذا الشيء الأول، الأخذ بالأسباب (احرص على ما ينفعك).

ثم قـال: (واسـتعن بالله) الاسـتعانة بالله -سـبحانه وتعـالى- والتوكل عليه وهو التوحيد، بعدها قال: (ولا تعجز) النهي عن العجز، العجز هو ضد ماذا؟ هو ضد الكَيْس في اللغة -هنا ضد- معـــنى الكيس مـــذكور في القـــوي، (المؤمن القوي خير من المؤمن الضـعيف) وفي (احـرص على ما ينفعك) هذا الكَيْس -الكِيَاسَة-.

العاجز: هو الذي لا يأخذ بالأسباب، العاجز هو الضعيف، العاجز هو الـذي لا يعرف كيف يصرف أمـوره ولا يـدبر شـأنه، لا يحـرص على ما ينفعه لا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة هذا عـاجز، هـذا عَجْز يلـوم الله عليه ويؤاخذ عليه؛ لأن العجز عجزان، يطلق العجز باعتباريين أو بمعنيين، إطلاقين:-

- العجز الذي هو ضد القدرة، وهذا هو القدرة طبعًا هي مناط التكليف الله -سبحانه وتعالى- لا يكلف العبد إلا ما يستطيعه يعني {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْعَهَا}[9] شـرط كل تكليف في الـدين هو القـدرة صـحيح؟ الـذي ليس عنده القدرة للقيام بالتكليف يسمى عاجز وهذا غير مُكلَّف، بمعنى سـقط عليه التكليف الذي لم يقدر عليه هذا التكليف جيـد؟ تكليف لم يقـدر عليه سقط، هذا عاجز لكن هذا ليس مقصودًا هنا، هذا لا يؤاخذ الله عليـه، هـذا عجز أنت لا إرادة لك فيه، كالعـاجز عن القيـام بالصـلاة يصـلي جـالس أو نائم مضطجع يعني وهكذا، العاجز عن الجهـاد لا يسـتطيع معـذور، وعـاجز عن الحج لا يجب عليه وهكـذا عـاجز عن الصـيام، عـاجز عن أي تكليف يسـقط عليه التكليف الـذي يعجز عنـه؛ لأنه لا يقـدر، خلاص لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها هذا عجز آخر لا يلوم الله عليه، لا لوم فيه.

- لكن العجز الـذي هو منهي عنه هنا هو عجز من كَسْـب الإنسـان؛ ولهـذا لِيم فيه لأنه عجز أنت تقدر أن تتداركه بالأخذ بأسباب القـوة، تسـتطيع أن

---

[9] **سورة البقرة: (286).**

تزيله عن نفسك هـذا العجــز، هــذا عجز منك أنت مِن كَسْـبك ومن فعلك فنُهيتَ عنه، صح أن يتوجه إليه التكليف صح ولا لا؟

(ولا تعجز) أيش معنى العجز هنا؟ قلنا معناها عـدم الأخذ بالأسـباب، عـدم الحرص على ما ينفعك، عدم القوة، الاستكانة والضـعف، إذن المـؤمن هو الكيِّس الفَطِن الـذي يأخذ بالأسـباب ويحسن التـدبير في أمـره الـدنيوي والأخروي ويكون قويًا، والعاجز هو الـذي يـترك هـذه الأشـياء، يـترك الأخذ بالأسـباب، يفـرط، هو المفـرط في الأسـباب، الـذي لا يحـرص على النفع الدنيوي والأخروي، هو الذي ضعيف ضعفًا ملامًا فيه، يـترك أسـباب القـوة يعني.

(ولا تعجز) في ســنن أبي داوود وغـــيره أن النـــبي □ قضى بين رجلين اختصما -جاؤوه يعني خصمان اختصما عنده- فقضى لأحدهما على الآخر - يعني أعطاه الحق، ماشي؟- فولَّى الذي قُضِي عليه -الثاني - انصرف وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فدعاه النـبي □ فقـال له: تعـال أو قـال: ردوه عَلَيْ، فنادوه وقال: (ما قلتَ؟)

قال: قلتُ: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال: (عليك بالكيس -الكيس هنا معناها الفَطانة والحرص على ما ينفعـك، هو معــنى الحــديث الــذي ورد هنا حــديثنا هــذا "احــرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " وهو معنى القوة أيضًا- عليك بـالكيس فـإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل).[10]

هذا الحـديث في سـنن أبي داوود في سـنده مَقـال، لكن معنـاه تشـهد له الأحاديث الأخرى ويشهد له كثير من الدلائل، وبعض العلمـاء صـححه أيضًـا مع هذا.

ماذا قال؟ قال: (عليك بـالكيس) يعـني احـرص على منفعتك إذا كـان أنت الحق معك أظهر بيناتك ودلائلك وحُجَجك واحـــرص على أخذ حقـــك، لكن أنت تفرط في أخذ الحق في تحصيل المنفعة الدنيوية والأخروية ثم تقول: حسبي الله ونعم الوكيل!! ما هـذا محلهـا، (عليك بـالكيس فـإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل) بعد ذلك هناك محلها، خلاص لم يعد لـديك

[10] **ضعفهُ الألباني في ضعيف أبي داود (3627).**

إلا اللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى- والتفويض إليه فقط، هذه معنى حسبي الله ونعم الوكيل: أي الله كافيَّ وقد فوضتُ إليه أمري وشأني.

إذن (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء -أصابك شيء يعني من البلاء والمصيبة- فلا تقل لو أني فعلتُ -وفي رواية أخرى- فعلتُ كذا وكذا كان كذا وكذا).

هذا فيه النهي عن قول (لو) بهذا القيد، يعني لا تقل: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا) لو، التي تفيد الاعتراض على القدر أو التسخط على القدر نوع من الاعتراض على قدر الله -سبحانه وتعالى- وقضائه والتسخط، هذه " لو" التي نُهي عنها؛ لأن "لو" ليس منهيًا عنها بالإطلاق ولهذا جاء استعمال "لو" في القرآن وفي السنة كثيرًا.

النبي ﷺ استعملها في مواضع متعددة وجمعوها العلماء، والبخاري أيضًا بوَّب في صحيحه (باب ما يجوز من اللَّو)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب (التوحيد) أيضًا لو تذكرون في كتاب التوحيد (باب ما جاء في اللَّو) أدخَلوا عليها الألف واللام؛ لأنهم جعلوا هذا الحرف بمعناه أنه يفيد التمني أو يفيد ما يقاربه طبعًا هي حرف امتناع الامتناع -يقولون في النحو- امتنع جوابها لامتناع شرطها، فإذا كانت بمعنى الاعتراض على القدر والتسخط عليه فهي ممنوعة "لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا" أرشد إلى هذا بقوله: (فإن لو تفتح عمل الشيطان) واستدلوا بهذه التذييل الأخير على أنها نهي كراهة؛ لأنه قال: (تفتح عمل الشيطان) أنها تؤدي بك أيها الإنسان المؤمن إلى الوسوسة، فهي تفتح للشيطان بابًا كبيرًا عليك يدخل منه إليك وإلى قلبك فيوسوس إليك فيجعلك يعني تشك في قضاء الله -سبحانه وتعالى- وقدره وتتسخط عليه، وتتسخط على قسمة الله -عز وجل- وتتهم ربك -عز وجل- ويفسد حسن ظنك بالله -عز وجل-!

(فإن لو تفتح عمل الشيطان) والعاجز هو الذي يقول: لو، دائمًا يقول: لو أني ولو أني، ويُتبع نفسه هواها، لكن القوي الكيِّس الفَطِن الحريص على ما ينفعه هو الذي يفعل الأشياء فإذا أصابه شيء لم يكن في حسابه بعد أن يأخذ هو بالأسباب ويستعين بالله -سبحانه وتعالى- ويتوكل عليه، عندما يصيبه شيء هنا يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم

الوكيل، هنا هذه الكلمة هذا موضعها، هنا التفـويض، خلاص ما عـادش في من الأسباب انتهى!

الأسباب التي أمرَنا الله بها أو دلنا الله عليها أخـذنا بها ولكن ليس شـرطًا أنك أنت تنجح! قد تفشل بعوامل كثـيرة يقـدرها الله -سـبحانه تعـالى-، فيصـيبك مثلًا شـيء من قـدر الله -عز وجل- مصـيبة أو تصـيبك شـدة أو مشقة، فشل، انكسار، فتقـول: قـدَّر الله وما شـاء فعـل، ففيه أيش؟ فيه الإيمان بالقضاء والقدر والتفويض إلى الله -سبحانه وتعـالى- واللجـوء إليه كما لجأنا إليه أولًا نلجأ إليه آخرًا- سبحانه عز وجل-

فـإذا فاتنا الأمر الـدنيوي مثلًا أو أصـابتنا مصـيبة فعلى الأقل لا يضـيع منا إيماننـا، وعلى الأقل لا نُكسَـر في إيماننا فنلجأ إلى الله -سـبحانه وتعـالى- ونسلم بقضائه وقدره وقال الله -تعالى-: {وَمَنْ يُـؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْـدِ قَلْبَـهُ}[11] ويشرح الله -سبحانه وتعالى- صـدر العبد المـؤمن ويفتح عليه ويُغلق عليه أبواب الشيطان فيقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسـبي الله ونعم الوكيل، فهذه الكلمة هنا في موضعها كلمة تفويض وكلمة إيمـان بالقضـاء والقـدر، وهـذه الكلمة عظيمة جـدًا فيها معـاني إذا المـؤمن لم يقلها في موضعها يشعر بتلك المعاني يعني لا شك .

هـذه أهم المعـاني في هـذا الحـديث النبـوي العظيم ونعيد قراءته مـرة أخرى، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأَحَبُّ إلى الله من المـؤمن الضـعيف، وفي كـلٍ خـير، احـرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شـيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قـدَّر الله وما شـاء فعـل، فـإن "لَـوْ" تفتح عمل الشيطان).

وأقـول قـولي هـذا وأسـتغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العـالمين أولًا وآخرًا

وصـلى الله وسـلم وبـارك على عبـده ورسـوله محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين.

---

[11] **سورة التغابن: (11).**